الطوبونيميا المحلية بالمغرب الإسلامي: محاولة لتقصي الحضور والتواصل خلال العصر الوسيط – المجال الكتامي أنموذجًا–

Local Toponym in the Islamic Maghreb: An attempt to investigate attendance and continuity in the medieval –The Kutama territiry mode

د. الصادق زياني

profziane@yahoo.com

جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة

تاريخ الاستلام: 2019/11/14 تاريخ القبول للنشر: 2019/12/20

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية نفض الغبار عن حقائق مبهمة من تاريخ الموقعية بمجالات المغرب الإسلامي، وتسلط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الجماعات المحلية، من خلال حضور وتواصل الإرث الثقافي والطوبونيمي لها، وهذا بتقصي مجالات التموضع، تصنيفاتها، ومدلولاتها اللغوية، من خلال الغوص في مصادر الفترة الوسيطية، والاستعانة دراسات طوبونيمية مرجعية، وكذا بقواميس ومعاجم محلية. وقد اخترنا المجال الكتامي من بلاد المغرب الأوسط كنموذج للتقصي الطوبونيمي.

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي، المجال، الجماعات المحلية، اللسان، الطوبونيميا، كتامة.

Abstract :

This article attempts to evacuate the vague facts of the history of toponymy in the territories of the Islamic Maghreb, highlighting

important aspects of the history of local communities, through the presence and continuity of cultural heritage and toponymy, in exploring territories of positioning, classification and linguistic significance, dive into sources from the medieval period, and use local dictionaries, as well as toponymy studies of references. We chose the Kutama territory of Central Maghreb (*al-Magrib al-Awsat*) as a toponymy investigation model.

Keywords: Islamic Maghreb, Territories, Communities, Tongue, Toponymy, Kutama.

مقدمة:

أفرزت الدراسات المحلية جملة من الأجوبة الغامضة المتعلقة بتاريخ المواقع، حيث استفاد الباحثون من تطور العلوم الجغرافية والأثرية على السواء، بفضل مخرجات مدرسة الحوليات الفرنسية، لينتقل اهتمام وتوجه الباحثين لمجالات المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط إلى الدراسات الطوبونيمية كأحد فصول الجغرافية التاريخية، بالإضافة إلى تاريخ المسالك، والمجال، والجماعات، محاولين الغوص في هذا التوجه البحثي بتقصي تاريخ المكان وذاكرته، أين صدرت جملة من الأبحاث المميزة، تم خلالها إعادة رسم مخيلات ومفاهيم أدق لخريطة المواقع بمجالات المغرب الإسلامي.

لكن مخرجات هذا الحقل المعرفي الذي تتزاوج فيه الوثيقة المصدرية والأثرية، والمستند في الأساس إلى جملة من المعارف المساعدة، ظهر بها نقص في الجانب المتعلق بأسماء المواقع المرتبطة بالجماعات المحلية التي استوطنت مجالات المغرب الاسلامي قبل الفتح، وهو ما سيؤدي حتما إلى عدم القدرة على رسم خريطة ومعجم دقيق للمواقع التاريخية والأثرية، بالرغم من توفر جملة من المعطيات الأثرية والخرائط القديمة المساعدة.

هذا النقص الذي ارتأينا ملأه بهذه الورقة البحثية، والتي حاولنا من خلالها إعداد تقصي طوبونيمي معتمدين على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، بالإضافة إلى وجوب التعامل مع المنهج المقارب في محاولة للوصول إلى نتائج ترجيحية قريبة إلى الواقع من

جهة، والمنهج المقارن من جهة ثانية لإبراز أوجه التشابه والاختلاف في الأشكال التركيبية للطوبونيمات المحلية في مختلف المصادر الوسيطية.

وحاولنا في هذا البحث الإجابة على إشكالية رئيسية تتمحور حول حضور وتواصل الموروث الثقافي وعلاقته بأسماء المواقع المحلية بمجالات المغرب الإسلامي عموما، وبالأخص المغربين الأقصى والأوسط، وقد جاء تركيزنا في الدراسة على هذا الأخير باختيارنا لنموذج ممثلا في المجال الجغرافي لكتامة. وجاءت الدراسة على النحو الآتي:

أولا– تواصل المنطوق والهوية الطوبونيمية المحلية بالمغرب الاسلامي:

1– تجليات اللسان المحلي في المجتمع الاسلامي المغاربي:

مع وصول حركة الأسلمة والتعريب إلى مجالات المغرب الاسلامي عموما، والكتامية من بلاد المغرب الأوسط أنموذج الدراسة بشكل خاص، برزت عمليات اندماج الجماعات المحلية في هذا الواقع الثقافي الجديد، أين بدأت الجماعات العربية التي استوطنت إلى جوار الجماعات المحلية، في قطع حاجز اللغة الفاصل بينهما، حتى انتشر اللسان العربي في الوسط المحلي:" وذلك أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر فنقلوهم إلى لسانهم بطول المجاورة لهم حتى صاروا جنسا واحدا"[1].

لكن خلال الفترات اللاحقة من الفترة الوسيطية ظلت هذه الجماعات محافظة على موروثها الثقافي، هذا التجذر نلمسه في شقه اللغوي، بمجالس العلم والسلطة بمجالات المغرب الاسلامي من العهد الرستمي، وحتى الموحدين. لقد توجت المصادر باختلاف طبوعها المذهبية وتوجهاتها الفكرية هذا الحضور والتواصل بمجموعة من الدلائل والحجج الدامغة، ومنها ما أورده صاحب طبقات المشايخ عن اتخاذ الأئمة الرستميين بمجالسهم من كان له علم بلغة المحليين (البربر)، ويسمونه ترجمانا: "...فقال له أي فن يسرهم أن أدونه لهم؟ قال انتظم لهم بلغة البربر كلاما يكون فيه وعظ وتذكير وتخويف، وكان أبو

سهل فصيحا بلغة البربر، فقد كان ترجمان جده الإمام أفلح..." [2]. كما يورد نفس المصدر رواية أخرى لتواصل اللسان المحلي (البربري) خلال القرن الهجري الخامس/11م، على أيام المعز بن باديس بن منصور بن بُلُكين بن زيري بن مناد الصنهاجي[3].

لقد كانت تصل للعلماء مسائل فقهية تبرز انتشار لغة البربر في المجتمع، وقد يكون بشكل أبرز بالبدو، غلى غرار هذه المسألة:" سؤال هل يقال...بالبربرية...؟ الجواب: ما سمعنا أحدا أجازه إلا أبو سهل، ولعل هروبهم من جوازه اشتراك اللفظة في لغة البربر..."[4]. حضور اللسان المحلي نلحظه كذلك بمجالس العلم وحلقات الإباضية من يفسر الكلام بلغة البربر حتى يفهمها غير العرب، وفي هذا يقول الدرجيني:" كان رجل عزّابي يقرأ آثار الربيع عن ضمام عن جابر رواية عبد الله بن صفرة، قلت وكنت أفسر بلسان البربرية ما يقرأه القارئ، فكنت كلما قرأ سند أثر من أثاره تجاوزت السند فلم أتكلم عليه وتركته إلى أن يصل الحديث، أو الأثر، فأتكلم عليه"[5].

خلال القرن الهجري السادس/12م، يتواصل حضور المنطوق (اللسان) المحلي على العهد الموحدي، ويبرز هذا فيما روايات صاحب الأنيس المطرب، التي ذكر في إحداها بأن فقهاء الموحدين كانوا يتقنون اللغة المحلية (البربرية)، في صورة الفقيه أبي الحسن بن عطية[6]. رواية أخرى لنفس المصدري جاء فيها ذكر نموذج لأحد الفقهاء الموحدين ممثلا في الفقيه والإمام الجوراوي، الذي كان قليل التمكن من لغة المحليين (البربر)، ولهذا يكون قد تصدى للإمامة، وأوكل الخطبة لمن له باع في اللغة المحلية (البربرية)[7]. كل هذه النماذج التي تثبت محافظة الجماعات المحلية على إرثها اللغوي وتواصله لقرون طويلة مابعد الأسلمة.

لكن هل يمكن تصور تواصل اللسان مع انقطاع للموروث الطوبونيمي المحلي؟

2- الطوبونيميا المحلية بمجالات المغرب الإسلامي: جدلية الحضور والتواصل

إن مسألة استمرار الموقعية المحلية بالكثير من المجالات هي من المواضيع التي تحتاج إلى قراءة وتقصي جديد، وقد يربط هذه الوضعية منطقيا بتواصل الموروث الثقافي بشكل كبير، لهذا سنحاول ذكر براهين على تجليات الطوبونيميا المحلية (البربرية) بالمغرب الاسلامي من خلال إبرازها تخصيصا في المغربين الأوسط والأقصى، حتى يتأتى لنا تفسير هذا الحضور دون إقصائها من المعالم الجغرافية للحاضر الاسلامي، وهذا باستنطاق مجموع المصادر الوسيطية، للوصول إلى معرفة تاريخية كاملة.

لقد برزت العديد من الدراسات السابقة الخاصة بمسألة أسماء المواقع المحلية بشتى أصنافها بمجالات المغربين الأوسط والأقصى، وأوضحت بشكل لافت نظرية الاستمرارية، على غرار قراءات: علاوة عمارة، ومحمد حسن، ومحمد مواق، وأحمد مشارك. فمن خلال الدراسة التي أعددناها حول بلاد الزاب[8]، والتي انتهينا فيها بعد استنطاق عديد المصادر الوسيطية إلى جملة من الطوبونيميا المحلية، والتي ارتبطت بأحداث تاريخية سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية، بالإضافة إلى دراسات مرتبطة في الأساس بالطوبونيميا خلال العصر الوسيط.

وفيما يلي نماذج للموقعية المحلية بمجالات المغرب الأوسط، موضحة في الجدول الآتي:

المجال	الطوبونيم المحلي	البيان	المصدر
	تاقربست – تاقربوست	"القلعة...وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتقاء وقد استدار سورها بجميع الجبل ويسمى تاقربست".	الإدريسي، مج1، ص 255.
		"وارتفع أبو يزيد ودخل قلعة كياتة وهي تاقربوست المطلة على قلعة حماد".	ابن حماد، ص 72.[9]
		"ومنها إلى أوسجيت مرحلة...ومنها إلى المسيلة مرحلة"	ابن حوقل، ص 77.[10]

بلاد المغرب الأوسط	أوسجيت	"أوسجيت وهي بسفح جبل القلعة وهي من جهة الشمال مما يلي بلاد عجيسة".	ابن حماد، ص73.
	مادغس – مادغوس	"ومن باغاية إلى مدينة قاساس: وهي مدينة قديمة على نهر، وفي غربيها جبل شامخ، ومنها إلى...مادغوس".	البكري، ج2، ص 227.[11]
		"وبقرب باغاية...وهي تحت جبل أوراس...مادغوس".	الاستبصار، ص 163.[12]
		"فولد بر:مادغِس...وولد مادغس: رجيك...فولد أداس بن زجيك بن مادغس".	ابن حزم، ص 461.[13]
	تارقاً أنو ودى–ترقا ن ؤدي[14]	"بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأول إليها [ساقية] يقال لها: تارقاً أنو ودى".	البكري، ج2، ص 239.
	أروسن	أروسن تقع على مسافة ستة أميال من موضع جبل كيانة، هذا الأخير يمثل القسم الغربي من جبال المعاضيد الحالية[15].	ابن حماد، ص 72.
	تامسنت	تقع بين تيجس وميلة	ابن حوقل، ص 87؛ البكري، ج2، ص 232.
	أفركان	غير بعيدة عن نقرين، على مقربة من بسرياني. إلى الجنوب من مدالة أو مديلة.	تاريخ العدواني[16]، ص 129.

إن هذا الحضور الطوبونيمي المحلي لم يقتصر فقط على مجالات المغرب الأوسط، بل نجد لها حضور بارز ببلاد المغرب الأقصى، التي احتفظ تاريخها بعديد الموقعية المحلية

(البربرية)، أين حملت أسماء معالم جغرافية مغربية مرتبطة بالعديد من أصنافها (المياه، التضاريس، القبائل، النبات، ...)، نتحدث هنا عن: أكادير، تاوريرت، تيطاوين[17]؛ مراكش، آسفي، تينمل، تيط، اغرم، تاسكدالت، إكلي، تامدلت، وليلي، نكور، تارغا، أكرسيف، أزمور[18]؛ تازة[19]. وقد حاول عديد الباحثين الخوض في هذا التوجه البحثي، من شاكلة: عبد اللطيف الخمار، وعبد الفتاح النيسبوري، ورضوان غزال.

وبالاستعانة بهذه الدراسات الطوبونيمية، ومعاجم لغوية للوصول إلى مدلول الموقعية المحلية، نعرض في الجدول الآتي حضورها ببلاد المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط:

المجال	الطوبونيم المحلي	التصنيف الطوبونيمي	المدلول اللغوي	المرجع/المعجم
بلاد المغرب الأقصى	تاوريرت	أورونيم [*Oronymie*][20]	تاوريرت = التل تلّ– التَّلُّ=...؛ تاوريرت /ج/ تيؤرار، تيوريرين.	محمد شفيق، ج1، ص 193[21]؛ عبد اللطيف الخمار، ص 104.
	تيطاوين	هيدرونيم [*Hydronyme*][22]	تيطاوين = العين عيْنُ الماءِ=...؛ تيط /ج/ تيطّاون، تيطّاوين، تاطاوين.	محمد حسن، ص 13 (العينين)؛ محمد شفيق ج2، ص 170.
	أزمور	فيتونيم [*Phytonyme*][23][24]	أزمور = الزيتون أزمور/ج/ ئزمّورن...البرّي= أزمّور /ج/ ئزمران	عبد اللطيف الخمار، ص 104؛ محمد شفيق، ج1، ص 485.

	أزيلال	أورونيم [*Oronymie*]	أزيلال = الفج بين الجبال أزيلال /ج/ ئزيلالن	عبد اللطيف الخمار، ص 104؛ محمد شفيق، ج2، ص 221.
	مليلى/م ليلة[25]	اثنونيم [*Ethnonyme*] [26]	مليلة= الأبيض/ البياض ؤمليل/ج/ ؤمليلن؛... ئمّليل، ئمليل.	Meouak, Les Ziban, p. 233.[27]؛ محمد حسن، ص 12؛ محمد شفيق، ج1، ص 186.

إن استنطاق المعطيات الواردة في مصادر الفترة الوسيطية، قد انتهت بنا إلى نتيجة مفادها: تواصل الحضور المحلي خلال تلك المرحلة التاريخية، سواء في المنطوق (اللسان) أو الطوبونييمي (الموقعية) باختلاف تصنيفاتها، كالمتعلقة بالماء، والمتعلق بالتضاريس، والمرتبط بالقبائل، والمتصل بالنبات. مما يوحي بأن هذه المعالم الجغرافية قد اتسمت وحملت هذه الأسماء نتيجة تأثرها بواقعها التاريخي الذي طبع ذاكرة الموقع أو المجال خلال تلك المرحلة.

ثانيا– مجالات كتامة: تقصي الطوبونيميا المحلية – استعراض نماذج –

بعد عملية التقصي التي قمنا بها في دراسة سابقة لنا حول تواصل الطوبونييما بالمجالات الكتامية متخذين من الطوبونيمين: "سطيف" و"ميلة" نموذجين للبحث[28]. سنحاول عرض والتقديم لنماذج حضور الموقعية المحلية بمجالات كتامة من بلاد المغرب الأوسط، باعتماد النموذجين الذين اخترناهما: "تامروت" و" تانجللت"، وجاءت النتائج كالآتي:

1– تامروت:

يندرج اسم الموقع "تامروت" ضمن الأورونيم (*Oronyme*) لارتباطه بأحد فروع التضاريس= الجبال. يذكره صاحب الاستبصار، فيقول:" وفي وسط المدينة [ميلة] عين خرارة...مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت"[29]. وتشترك جميع المصادر التي ذكرت المعلم الجغرافي في تحديد موقعه، على أن هذا الجبل يقع بالقرب من عين أبي السباع، أو عين ميلة، وباستخدام الخريطة الأثرية القديمة، والحالية لميلة، تم حصر أقرب جبل من المدينة، وهو جبل مارشو[30] "*M^t. Marchou*" أو كما هو مدون في الخريطة الطبوغرافية "*Marechou*"[31]، والذي نرجح بأن يكون هو نفسه الطوبونيم الذي ورد في المصادر العربية، بالرغم من اختلاف شكل رسمه في أغلبها.

وقد يكون جبل تامروت ضمن مجالات بني ورار، الذين استوطنوا بالقرب من ميلة، ويرتبط بحسب العبدري اسم العين بقريتهم، حين يقول:" عين تسح وعنصر يجود ولا يشح، وبنو ورار أعمر المحلين وعينها أغزر العينين"[32]. وبني ورار هم أحد فروع بطن سيلين الكتامية، والتي تنحدر من أوطان سدويكش، وقد وردت في نصوص صاحب العبر، في قوله:" هذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بـ سدويكش، وديارهم في مواطن كتامة مابين قسنطينة وبجاية في البسائط منها، ولهم بطون كثيرة مثل سيلين"[33].

ونرجح أن يكون "تامروت" محلي (بربري) الأصل من صنف المؤنث لابتدائه بحرف التاء "ت"، وشكله التركيبي يتطابق مع شكل الكلمات المحلية البربرية ذات الأصل اللغوي المحلي، والمتشارك بين جميع الناطقين باللغة المحلية، وحتى منطوق الكلمة (اللسان)، يثير نغمة صوتية بربرية، ونفس الملاحظة تنطبق على الاسم "ياروت".

الثلاثية: تامروت – ياروت – ساروت:

لقد رأينا بأن التسمية من أصل محلي (بربري)، وهو أمر لا يدع أي مجال للشك، غير أن الملاحظ هو تباين في الشكل التركيبي للتسمية في المصادر العربية: تامروت – ياروت

– ساروت. والاشكالية التي تطرح دائما هي: هل هذا التباين يحيلنا إلى مواقع مختلفة؟ أم أن الأمر لا يقتصر على: التصحيف، التحريف، والنسخ؟

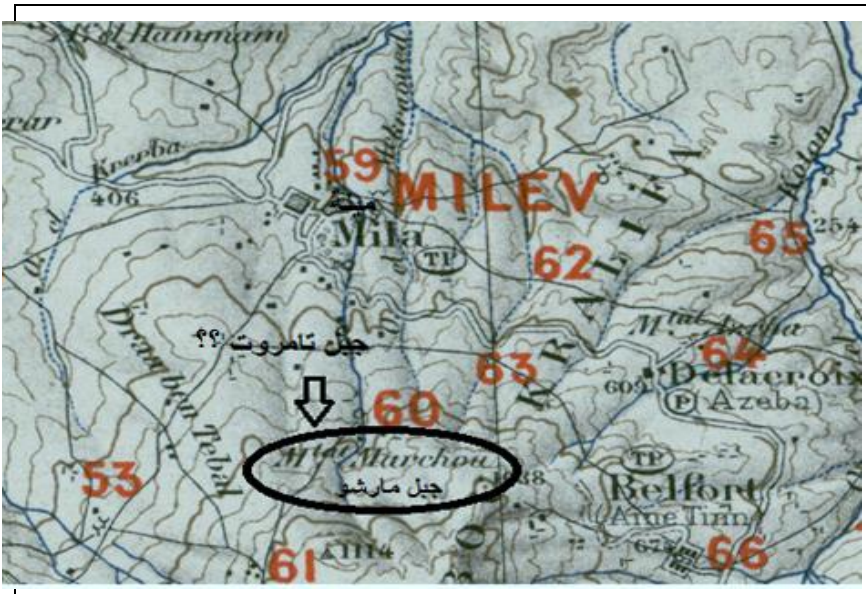

الموقع الترجيحي لجبل تامروت

(المرجع: *Gsell, A.A.A, Fº 17, Nº 59 –Carte Constantine–*) – بتصرف –[34]

- ورد الاسم عند البكري بالشكل "ياروت": "مجلوبة تحت الارض من جبل بني ياروت"[35].

- وجاء ذكره عند صاحب الاستبصار بالشكل "تامروت": " ويقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى [جبل] تامروت"[36].

- ويذكرها صاحب الروض المعطار " تامروت"، نقلا عن صاحب الاستبصار، ويظهر محقق الروض إحسان عباس شكل التسمية التي أوردها البكري في هامش نفس الصفحة[37].

- وتظهر في معجم البلدان بالرسم " ساروت": " مجلوبة من تحت الأرض من جبل بني ساروت".

لكن كيف يمكن تفسير هذا التباين في الشكل التركيبي؟

يرى محقق مسالك البكري جمال طلبة، بأن التسمية التي نقلها صاحب معجم البلدان هي مجرد تحريف، لأنه نقل حرفيا النص عن البكري، حيث يتطابق التدليل على مدينة ميلة بين المصدرين، ولا يظهر التحريف إلا في اسم الموقع بين ما يذكره النص الاصلي لابن الوراق المنسوخ من قبل البكري، والذي يظهر شكل الاسم "ياروت"، والمحرف في المعجم " ساورت"، والتصحيف واضح في التسمية الأخير، أين تحولت "ياء" النص الاصلي إلى "سين" في النص المنقول. وعليه نستبعد أن يكون اسم الموقع في معجم البلدان صحيحا.

وبقي لنا الآن مناقشة التباين بين نصي البكري والاستبصار، وتحديد نقاط التباين بينهما: إن عملية النقل الشفهي الذي اعتمد عليها صاحب الاستبصار، الظاهرة في النص، مميزة في الكلمة: "ويقال إنه"، تدعنا نذهب إلى التشكيك في عدم صحة الاسم المنقول من قبله.

الطوبونيم ومجالات بني ورار : تاورير – ياورار

لقد أشار صاحب الرحلة العبدرية إلى مجالات بني ورار الكتامية، والتي هي من فروع سيلين أحد بطون سدويكش، والتي كانت مواطنها بالقرب من ميلة بحسب ما أشار إليه جورج مارسي، والتي تظهر بشكل واضح في الخريطة التي أرفقها بالدراسة[38]. نفس

المعطيات نجدها في نصوص صاحب العبر، عندما يبرز لفظين يقابلان جماعات سكنت بالقرب من ميلة في مواطن سدويكش الكتامية:

- تاوريرت:

– "أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش، وعقد السلطان عليهم لموسى ابن ابراهيم بن عيسى، وانزله تاوريرت آخر عمل بجاية"[39].

– "ودخل مولانا أو العباس إلى قسنطينة، ودعا لنفسه، وضبط قسنطينة وكان مدلا ببأسه وإقدامه، وداخله بعض المنحرفين من بني مرين من أولاد بوسعيد وسدويكش في تبييت موسى بن ابراهيم بمعسكره من ميلة، فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا أولاده وخلص إلى تاوريرت"[40].

- ياورار:

– "ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة، ونازلوها أياما، وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها، فاستباحوه، ثم مروا ببني ياورار".

ماذا نستنتج مما سبق؟

إن الإسم الثاني "بني ياورار" الذي يذكره صاحب العبر، هو الأقرب للاسم الذي يذكره صاحب الرحلة العبدرية "بني ورار"، مما يرجح أنهما يشيران إلى نفس المعنى وهو قبيل من سدويكش بمجالات كتامة، بالقرب من ميلة. وعليه نرجح أن يكون الجبل هو جبل بني ورار أو ياورار.

لكن ما مدى صحة التسمية التي يوردها البكري؟

تامروت – تاوريرت:

نلاحظ تقارب بين التسميتين (تامروت عند البكري) و (تاوريرت عند ابن خلدون)، ومن المؤكد أن كليهما بربري الأصل، شكلا ولسانا. كما نرجح أن يكونا الترجمة العربية لأصل الفرع الكتامي من سدويكش (بني ورار)، ونرجح أن يكون الأصل من ورار- ياورار، على الشكلين الآتين:

ورار / ياورار	←	تاورارت/ تاوروت/ تاوريرت = تسمية ابن خلدون.

ورار/ياو رار	←	تاوروت / تاوريت/ تياوريت/ تياوروت = يقابل تسمية البكري مع تصحيف في حرف الميم عنده مع تاء الأصل المرجح.

وعليه، نرجح أن التباين بين التسميتين لا يعدوا أن يكون تصحيفا للأحرف في الإسم الوارد عند البكري، مع ما أروده ابن خلدون، ومقارنة بأصله البربري.

– عين بني ورار[41]:

ارتبط اسم هذا المعلم بجبل تامروت، والذي رجحنا أن يكون هو نفسه جبل مارشو، ومنبعها. وبحسب الروايات بأن تاريخ هذا المعلم يعود للعهد الروماني، وقد تم صناعتها بالحجارة المصقولة. (اللوحة 1)

ونلاحظ تواصل ذكر العين في النصوص العربية، خلال القرون الهجرية الثمانية الأولى، ووردت بتسميتين مختلفتين، عين أبي السباع، وعين ميلة، والأكيد أن التسميتين تؤديان إلى معنى واحد: عين ميلة القديمة، وقد جاء ذكر هذا المعلم الجغرافي في النصوص الآتية:

– القرن الهجري الرابع والخامس/10-11م (ابن الوراق والبكري): " داخل المدينة [ميلة] عين تعرف بعين أبي السباع"[42].

– القرن الهجري السادس/12م (الادريسي وصاحب الاستبصار): " مدينة ميلة...مياهها غدقة"[43]. "عين خرارة عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبير...وتعرف بعين أبي السباع"[44].

– القرن الهجري السابع/13م (الحموي ؛ ابن عميرة المخزومي[45]):" ميلة: بالكسر ثم السكون، ولام...من أصل مدن الزاب، في وسطها عين تعرف بعين أبي السباع"[46]؛ "بلغنا ميلة، وشاهدنا ساحتها الجميلة، وإنها لمدينة بخصب الأرجاء متزينة، وفيها من أبنية الأوائل آثار بينة، صخور يعجب نحتها، وأبنية يعجز نعتها، وماء يدغفقونه دغفقة، ويردون جمّته متفيهقة"[47].

– القرن الهجري الثامن/14م (العبدري البلنسي):" عين ميلة في داخل البلد. ليست بفيض ولا ثمد. وقد طويت طيا بديع الأحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط الاعتناء والاهتمام تقف عليه النواظر وقوف استغراب وتصفه الالسنة على جهة الاغراب وكفى ببلد خلاء وفناء الّا يحوي ما يوصف إلا ماء وبناء".[48]

المعلم الجغرافي "عين ميلة"[49] (العين الرومانية)

- الثلاثية: عين أبي السباع– عين ميلة – عين البلد

نلاحظ حدوث تحول طوبونيمي، بتغير اسم المعلم الجغرافي من التسمية الوسيطة: "أبي السباع= عين ميلة"، ليشتهر في الأوساط الشعبية بمسمى "عين البلد"، ويمكن إعطاء تفسير ترجيحي لهذا التحول من خلال وقوع المعلم الجغرافي في بلدة ميلة القديمة، في حين تشير بعض الروايات الشفهية إلى أن هناك من الأوساط الشعبية من يلحق تسمية العين بالجبل الذي تنبع منه، فتسمت بـ "عين مارشو"، أو تاريخه الضارب في القدم من خلال اطلاق تسمية "العين الرومانية" على المعلم الجغرافي.

2– تاناجللت:

يمكن إدراج تاناجللت ضمن صنف الميكرو طوبونيمي، فبحسب موسى لقبال، تاناقللت هي مجرد:" مركز صغير من مراكز كتامة"، وبالتالي لا يمكن تصنيفها ضمن مرتبة المدينة. ويذكر البكري بأن "تاناجللت" تقع على بعد مرحلة من مدينة سطيف، وهي تقرب من مدينة ميلة[50]. وبحسب موسى لقبال، فالموضع قد يتطابق مع الموقع الحالي تاجنانت[51]، والموجودة حاليا في نفس الطريق[52]، واحتفظت ذاكرة المكان بالتسمية الاستعمارية (*Saint Donat*) للموقع تاجنانت[53]، مما يؤكد تأثر تاريخ المواقع بمجموعة من التأثيرات، تنتهي بالذاكرة الجماعية إلى حفظها على طبيعتها التي أوجدت، أو تسمت بسببها.

وبإسقاط لجغرافية البكري على الموقع المرجح (تاجننت)، فإننا نجد تطابقا كبيرا: فمن حيث البعد عن سطيف، فالبكري يرى بأنها على مرحلة من سطيف، وتاجنانت تقع في الحدود مع سطيف على الطريق القديم الواصل بين سطيف وقسنطينة؛ أما مع ميلة، فالبكري يرى بأنها على مقربة من ميلة، وفي الواقع، تاجننت تنتمي إلى مجالات ميلة، وتتموقع في الجنوب الغربي منها. وعليه يمكن إحداث مقاربة لتطابق الموقع تاناجللت الوسيط مع الموقع الحالي تاجننت.

إن الشكل التركيبي للطوبونيم يشير بأنه لا يشبه الأشكال التركيبية للطوبونيميا العربية، خاصة أنه ابتدئ بـ "تاء" المؤنث في اللغة المحلية، مما يؤكد أصله المحلي (البربري). كما أن نغمة الاسم أو منطوقه (اللسان)، يحيلنا مباشرة إلى الخصائص الصوتية البربرية. وعليه نرجح بشكل كبير الأصل والمرجع البربري لطوبونيم تاناجللت/تاناقللت وحتى تاجنانت.

الثلاثية: تاناجللت – تاناقللت- تافيلالت

لقد رأينا أن التمسية تاناجللت لا تدعو إلى الشك من أنها محلية (بربرية) الأصل والمرجع. غير أن الروايات المصدرية تبرز تسميتين مختلفتين في الشكل، قريبتين من حيث النطق. فهل مدلولهما يؤشر على موقعين مختلفين؟ أم أن الاختلاف في عرض شكل الطوبونيم في المصادر راجع إلى الجانب اللساني أو إلى الناسخ والمنسوخ؟

لقد ورد هذا الموقع تحت اسم تاناجللت في رواية البكري كالتالي:

- " تاناجللت: مدينة لكتامة عامرة آهلة، ليس بها مسجد"[54].

كما ورد في كتاب صاحب العبر (النسخة المترجمة للإيرانية) تحت اسم تاناقللت كالآتي:

- " سپس موسى بن نصير خود به غزای طنجه رفت و درعه را بگشود وصحرای تاناقللت "[55].

(تُظهر الرواية الخلدونية بالترجمة الإيرانية، والتي انفرد فيها بذكر الموقع دون سواه من الإخباريين رسم الاسم بالشكل تاناقللت).

كما ورد الاسم بالشكل "تافيلات" في النسخة العربية (طبعة 2000م، مراجعة سهيل زكار):

- "ثم غزا (موسى بن نصير) طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلالت"[56].

-إن مقارنة الاسم الموجود بين رواية البكري، ورواية ابن خلدون، تظهر تقارب في رسم شكل الطوبونيم، ولا يعدو الاختلاف إلا تحريف أو تصحيف لحرف (الجيم) في الاسم تاناجللت. أو هو نطق دارج مخفف للاسم من تاناجللت إلى تاناقللت كما ذهب إلى ذلك موسى لقبال[57].

وحتى إذا أخذنا بصحة الشكل التركيبي في نسخة الترجمة الإيرانية، فالتسمية تدل على موقعين مختلفين تماما، الأول بمجالات كتامة " تاناجللت"، والثاني بصحراء طنجة بالمغرب الأقصى، ونقصد الموقع تاناقللت أو تافيلالت. غير أننا نرجح بأن الاسم بربري الأصل، يقارب الطوبونيم الحالي تاجننت من حيث الرسم، فكلا الاسمين متقاربين في الشكل التركيبي، وحتى من الناحية الجغرافية، سواء من حيث ارتباطه بمدينة ميلة وسطيف، وحتى انحصار الموقعين سالفي الذكر في مجال اثني متشابه، وهو بلاد كتامة.

الخاتمة:

من خلال ما مر بنا في هذه الورقة البحثية، يمكننا الخروج بالنتائج الآتي ذكرها:

– تواصل اللسان المحلي خلال الفترة الوسيطية، حيث حافظت الجماعات المحلية على موروثها الثقافي، رغم انتشار مراكز التعريب خلال الفترة الاسلامية الأولى وحتى بعد طغيان اللسان العربي بمجالات المغرب الاسلامي.

– حضور الموقعية المحلية (الطوبونيميا) بمختلف مجالات المغرب الاسلامي، وقد كان للنماذج المستقاة من بلادي المغرب الأقصى والأوسط أدلة كافية على هذه الاستمرارية.

– تنوع التصنيف الطوبونيمي لأسماء المواقع المحلية، مما يؤكد تؤثر ذاكرة المكان بجملة من الأحداث التاريخية، أو ارتباط تسميته بـ: التضاريس (الأورونيم)، الماء (الهيدرونيم)، القبيلة (الاثنونيم)، التصوف والولاية (الهجيونيم).

– احتفاظ مجالات كتامة أنموذج الدراسة بالإرث الطوبونيمي المحلي، وهذا من خلال ما تم حصره من معالم جغرافية بشكله التركيبي المتطابق مع شكل الكلمات المحلية البربرية ذات الأصل اللغوي المحلي، والمتشارك بين جميع الناطقين باللغة المحلية، وحتى المنطوق (اللسان).

في الأخير، قد يحتاج موضوع الطوبونييما المحلية إلى كتابات ودراسات أكثر عمقا، حتى لا يتم إقصاء هذه المواقع من الذاكرة الجماعية لمجتمعاتنا، وأيضا وجوب حصرها وتصنيفها، حتى ننتهي إلى إعداد أطلس أثري دقيق للمواقع، بالأخص لمجالات المغرب الأوسط (الجزائر) تخصيصا خلال الفترة الوسيطة، لأنّ تتبع الانقطاع والتواصل الطوبونيمي لمختلف المواقع، يحيلنا إلى إعداد خرائط أثرية ومعجم للمواقع العربية والمحلية دقيقة وشاملة.

الهوامش:

[1] الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله (ت. على الأرجح 560هـ/1160م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أو كتاب روجر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج1، ص 223.

[2] الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1272م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر، 1974م، ج2، ص 352.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص 486.

[4] نفسه، ج2، ص 488.

[5] نفسه، ج2، ص 416.

[6] نفسه، ن.ص.

[7] ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة: كارل يوجن تورنبورغ، دار

الطباعة المدرسية، أوسبالة، 1843م، ص 42؛ إميل فيليكس غوتيي، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، مؤسسة توالات الثقافية، 2010م، ص 39.

[8] الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب (من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ/15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، بإشراف: أ.د/ علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، 2019/2018م.

[9] ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة و عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1981م.

[10] ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367هـ/977م)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

[11] البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج2.

[12] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب"، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء–الرباط، 1985م.

[13] ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948م.

[14] تارقاً أنو ودى = سَاقْيَة اَلسَّمْن. محمد شفيق، المرجع السابق، ج1، ص 548.

[15] الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م)، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ج1، ص 55 (الهامش).

[16] محمد بن محمد بن عمر العدواني (ت بعد 1065هـ /1655م)، تاريخ العدواني، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1996.

[17] Abdelffatah Nissabouri, «Toponymes maghrébins. De l'enracinement à l'internationalisation », *Cahiers de sociolinguistique*, 11 (2006/1), p. 125-128 et 134.

وحول تيطاوين، يراجع: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ص 13.

[18] عبد اللطيف الخمار، " جوانب من التراث المادي للغرب الاسلامي من خلال الدلائل الطوبونيمية والمعطيات الاركيولوجية": الطوبونيميا بالغرب الاسلامي (ضبط الاعلام الجغرافية- مقدمات في الفهم والمنهج والعلائق)، افريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، 2012م، ص 104- 111.

[19] محمد حسن، المرجع السابق، ص 11.

[20] « Glossaire de la Terminologie Toponymique », *la Commission de toponymie de et par la Commission de toponymie du l'Institut Géographique National de France Québec*, Paris et Québec, 1997, p. 22.

[21] المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1996م.

[22] Pellegrin Arthur , *Essai sur les noms des lieux d'Algérie et de Tunisie* (Etymologie, Signification), Edition S. A. P. I, Tunis, 1949, p. 159.

[23] فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة -مقاربة لغوية تطورية منطقة تلمسان أنموذجا- ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2017/2016، ص 24.

[24] Pellegrin, *op. cit.*, p. 168 (Noms tirés du règne végétal).

[25] عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/ 1968م، ج1، ص 316.

[26] « Ethnonyme: Nom de personne ou de groupe humain utilisé dans la dénomination des lieux ». « Glossaire de la Terminologie Toponymique », *op. cit.*, p. 13 ; Ouerdia Yermeche, « L'anthroponymie algérienne : entre rupture et continuité ? », p. 50. *op. cit.*, p.

[27] *Les Ziban entre Aurès et Sahara*, Accadimia scientiarum Fennica, Helsinki, 2017.

[28] التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م -دراسة نماذج-.

[29] الاستبصار، ص 166.

[30] بحسب الروايات الشفوية لأهل المنطقة مارشو لفظة محلية تعني الماء الغزير.

[31] يراجع الخريطة الطبوغرافية لولاية ميلة، على الموقع: *https://www.google.dz/maps/@36.4252421,6.2463043,14.58z*

[32] العبدري، محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود الحاحي البلنسي(ت على الأرجح 720هـ/1320م)، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص 57؛

موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 150.

[33] ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ج6، ص 197. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ج2، ص 218.

[34] *Atlas archéologique de l'Algérie (A.A.A)*, textes – cartes, impr-libr Adolphe Jourdan, Alger, 1911, t.1 et 2.

[35] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[36] الاستبصار، ص 166.

[37] ابن عبد المنعم، أبو عبد الله محمد الحميري الصنهاجي (ت 900هـ/1495م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

[38] Georges Marçais, *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, E. Leroux, Paris; D. Braham, constantine, 1913, p. 420, 481, 618, Cartes: p. 749-750. http://menadoc.bibliothek.uni-halle.de/ssg/content/pageview/ 527636.

[39] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 392.

[40] نفسه، ج7، ص 393.

[41] عين أبو السباع أو عين ميلة.

[42] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 254.

[43] الادريسي، المصدر السابق، ص 265.

[44] الاستبصار، ص 166.

[45] أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت 658هـ/ 1260م).

[46] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ/1299م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج5، ص 244.

[47] رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية (بغية المستطرف وغنية المتطرف)، جمع: أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي (ت 733هـ/1333م)، دراسة وتحقيق: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 140 والهامش.

[48] العبدري، المصدر السابق، ص 58.

[49] يوسف عيبش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب، أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في آثار وتاريخ المغرب القديم، بإشراف: محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة–الجزائر، 2007/2006، ص 350.

[50] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 259.

[51] تاجنانت = ؤرتي أو إورتي: هي كلمة ذات أصل محلي (بربري)، وتقابلها كلمة البستان في العربية. محمد شفيق، المرجع السابق، ج1، ص 169؛ عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية "البربرية"، منشورات مجمع اللغة، طرابلس، 2007م، ص 38.

[52] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 151.

[53] Jacqueline Soyer, « Les cadastres anciens de la région de Saint-Donat (Algérie) », *Antiquités africaines*, 7(1973), p. 275-296. Saint Donat : Centre de population peuplé à Il est érigé en commune par partir de janvier 1873, en partie par des colons Alsaciens. arrêté du 7 janvier 1957 (centre de Saint-Donat, partie du centre de Merdj El Harris et de trois douars de la commune mixte de Châteaudun-du-Rhumel). *Archives nationales d'outre-mer*, France, Mise à jour le 3 février 2015.

[54] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 259.

[55] تاريخ ابن خلدون العبر، ترجمة: عبد المحمد آيتي، إيران، 1343هـ/1924–1925م، مج3، ص 265. والشكل التركيبي للاسم نقله لنا موسى لقبال. دور كتامة، ص 151.

[56] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239.

[57] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 151.